فتح المعين

بين المؤلفات في الفقه الشافعي

أ. د. عبد الحكيم بن عبد الرحيم الكَنافَلي السعدي

hakeemsaadi@gmail,com

المحتويات الصفحة

نسبة كتاب فتح المعين إلى مصنفه 5

كلمات عن الشيخ زين الدين رحمة الله عليه 9

مراجع فتح المعين ومصادره 18

محتويات فتح المعين وترتيب أبوابه 19

مكانة فتح المعين عند الفقهاء الشافعية 22

ميزات فتح المعين وخصائصه 33

الحواشي والهوامش على فتح المعين 49

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والذي هو فوق كل ذي علم عليم، والذي هدانا لهذا وما كنا لِنهتدي لولا أن هدانا الله، أحمده حق حمده، حمدا يوافي نِعَمه ويكافئُ مزيده، وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار وأتباعه الغرّ المحجلين، أما بعد فهذا بحث موجز معنون بـ "فتح المعين بين مؤلفات الفقه الشافعي"، وهو يعين من يطالع كتاب فتح المعين على معرفة مكانته في الفقه الشافعي، والله تعالى أسأل أن ينفعني ومن يستفيد منه ومن له حق عليّ به في الدنيا والآخرة.

ويشتمل هذا البحث على المضامين التالية:

- نسبة كتاب فتح المعين إلى مصنفه
- كلمات عن الشيخ زين الدين رحمة الله عليه
- مراجع فتح المعين ومصادره
- محتويات فتح المعين وترتيب أبوابه
- مكانة فتح المعين عند الفقهاء الشافعية
- ميزات فتح المعين وخصائصه
- الحواشي والهوامش على فتح المعين

****

نسبة كتاب فتح المعين إلى مصنفه

قال خير الدين الزركلي في الأعلام: "المليباري (000 – 987 هـ[1] = 000 – 1579 م): زين الدين بن عبد العزيز[2] بن زين الدين بن علي بن أحمد المعبري المليباري: فقيه شافعي من أهل مليبار، ويأتي ذكر جده زين الدين بن علي. له (فتح المعين – ط) شرح لكتابه (قرة العين بمهمات الدين – ط) مع الأول"[3].

قال عبد الحي الحسني اللكنوي في نزهة الخواطر: "الشيخ زين الدين بن عبد العزيز المليباري: الشيخ العالم الفقيه زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي الشافعي المليباري، أحد المبرزين في العلوم، أخذ عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي بمكة المباركة، له قرة العين في مهمات الدين في فقه الشافعية، رسالة وجيزة، وله شرح بسيط عليها سماه فتح المعين شرح قرة العين صنفه سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة[4]"[5].

قال يوسف إليان سَركيس في معجم المطبوعات: "المعبري المليباري (الشيخ) زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي المعبري المليباري (من علماء القرن العاشر للهجرة). 1 – إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد – (مواعظ) مط عبد الرازق 1302 –

---

1) هذا أحد الآراء الثلاثة في سنة وفاته وسيأتي ترجيح غيره في الفصل الثاني فراجعه.

2) عبد العزيز ليس والده بل هو عمه ووالده محمد الغزالي كما سيأتي في الفصل الثاني فراجعه.

3) الأعلام 64/3.

4) كما نص عليه الشيخ زين الدين في آخر كتابه بقوله: يقول المؤلف عفى الله عنه وعن آبائه ومشايخه فرغت من تبييض هذا الشرح ضحوة يوم الجمعة الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظّم قدره سنة اثنين وثمانين وتسعمائة.

5) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر 341/4.

بهامشه مختصر أحاديث ومواعظ للمؤلف المذكور – مط الميمنية 1313 ص 149 – (أنظر الحريفيش: الروض الفائق في المواعظ والرقائق). 2 – فتح المعين بشرح قرة العين – كلاهما له (فقه شافعي) ويليه منظومة في التصوف لجد المؤلف زين الدين بن على بن احمد المعبري – أول كتاب فتح المعين الحمد لله الفتاح المعين..فرغ من تأليفه سنة 982 –"[1].

قال في كتب موقع ومحرك بحث الموسوعة الشاملة: "حاشية إعانة الطالبين [هو حاشية على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين/ لزين الدين بن عبد العزيز المعبري المليباري (المتوفى: 987 هـ)].

قال عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين: "زين الدين المليباري (القرن العاشر الهجري) (القرن السادس عشر الميلادي): زين الدين بن عبد العزيز بن زين الدين المليباري، الحنفي. فقيه مشارك في بعض العلوم. من آثاره: فتح المعين بشرح قرة العين، مختصر في أحاديث ذكر الموت، وإرشاد العباد إلى سبيل الرشاد. (ط) فهرس دار الكتب المصرية 1: 531 604: Brockelmann: s II، زين الدين"[2]. وقد أخطأ عمر كحالة حيث جعل الشيخ زين الدين حنفيا، وقد سبقه بهذا الخطأ بروكلمان في تاريخ الأدب العربي حيث أورد كتابه فتح المعين في عداد كتب الفقه الحنفي في الهند.

قال إسماعيل باشا الباباني البغدادي في هدية العارفين: "المليباري: زين الدين بن علي بن أحمد المعبري المليباري الشافعي الصوفي ولد بكوشن من مليبار سنة 872 وتوفي بفنان سنة 928 ثمان وعشرين وتسعمائة. من تصانيفه فتح المعين في شرح قرة

---

1) معجم المطبوعات العربية 1762/2.

2) معجم المؤلفين 193/4.

العين بمهمات الدين. هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء منظومة في التصوف"[1]. وقد أخطأ إسماعيل باشا خطأ فاحشا في نسبة فتح المعين إلى الشيخ زين الدين الجدّ.

ومن دواعي الأسف البالغ خطأ السيد علوي بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف مصنف ترشيح المستفيدين بتوشيح فتح المعين في نسبة كتاب فتح المعين إلى الشيخ عبد العزيز المليباري رحمه الله[2].

****

كلمات عن الشيخ زين الدين رحمة الله عليه

(938هـ – 1028هـ)

هو أبو بكر[3] أحمد زين الدين بن محمد الغزالي[4] بن زين الدين[5] بن علي بن أحمد المعبري المليباري الفنّاني الشافعي الأشعري، المفسر، المحدث، الفقيه، الأصولي، اللغوي، الصرفي، النحوي، المؤرخ، المرشد.

---

1) هدية العارفين 198/1.

2) عبارته في ديباجة ترشيح المستفيدين: "إن كتاب فتح المعين للإمام العلامة والحبر الفهامة الشيخ عبد العزيز المليباري رحمه الله مما كثر نفعه الخ". ص:2.

3) صرح الشيخ زين الدين بكنيته أبي بكر حينما عبر عن نفسه في آخر كتابه الأجوبة العجيبة فقال: "فقيرهم أبو بكر أحمد المعبري". ص: 219/ ط. دار الضياء، سنة 1433هـ.

4) يقال إن محمدا والد الشيخ زين الدين كان يشتغل بكتب الإمام الغزالي رحمه الله ويطالعها كثيرا فلذلك اشتهر بمحمد الغزالي.

5) هو الشيخ زين الدين المخدوم الكبير رحمه الله.

تنبيه هام: قال العلامة أحمد ابن الشيخ زين الدين المخدوم الأخير ابن ماحن حسن في ترجمة مصنف فتح المعين المطبوعة مع فتح المعين الذي طبع في مطابع مليبار المختلفة: "وأما ما يذكر من أن اسم والده عبد العزيز[1] فليس بصحيح وإن جرى عليه المحشي تبعا لأهل مطابع مصر. وقد صرح الشيخ رحمه الله اسمَه واسمَ والده في أول كتابه الأجوبة العجيبة[2] وبعض خطوطه وذلك كما كتبناه وأن الشيخ عبد العزيز عمه لا والده كما صرحه في الأجوبة أيضا[3] فلا اعتماد على ما يذكر اللهم إلا أن يقال أنه عدّ العمّ من الأب لشهرته منه تأمل"[4]. وبهذا ظهر خطأ الزركلي واللكنوي وكحالة والبغدادي وإليان سَركيس غيره حيث نسبوا المصنف إلى عبد العزيز.

فبعد ما حفظ الشيخ زين الدين رحمه الله تعالى القرآن والعلوم الدينية الابتدائية من علماء مليبار مثل والده الشيخ محمد الغزالي، وعمه العلامة عبد العزيز، والشيخ العلامة إسماعيل الشكري البدكلي ارتحل إلى مكة المكرمة[5].

وبمكة والشام ومصر قد ظفر الشيخ بتلقى العلوم من عباقرة علماء الإسلام مثل شيخ الإسلام والمسلمين خاتمة المحققين شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، وشيخ

---

1) جرى عليه السيد البكري في إعانة الطالبين، ومحمد نووي الجاوي في نهاية الزين، والزركلي في الأعلام، وعبد الحي في نزهة الخواطر، وعمر رضا في معجم المؤلفين، يوسف إليان في معجم المطبوعات، وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي، وموسوعة المكتبة الشاملة، وكثير من المطابع العربية، ودور نشر العالمية كما سبق عبارة بعضهم.

2) عبارة الأجوبة: "فيقول أضعف العباد وأفقرهم إلى رحمة الجواد أحمد زين الدين بن محمد الغزالي المعبري الشافعي الخ". ص:55.

3) قال في جواب سؤال رقمه 125: "فأجاب كتابة شيخنا شيخ الإسلام مفتي الأنام مخدومنا العمّ عز الدين عبد العزيز بن زين الدين المعبري الخ". ص:166.

4) ص:2.

5) شهاب الدين أحمد كويا الشالياتي : البيان الموثوق ص: 31.

الإسلام عز الدين عبد العزيز الزمزمي، وشيخ الإسلام مفتي الحجاز واليمن وجيه الدين عبد الرحمن بن زياد، والعلامة السيد عبد الرحمن الصفوي، وعمه العلامة عز الدين عبد العزيز بن زين الدين المَعبري، والشيخ العلامة زين العابدين أبو بكر محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي رحمهم الله تعالى ونفعنا بعلومهم. واستفتى[1] في مسائل عدة هؤلاء المشايخ وغيرهم من الأئمة الأعلام مثل شيخ الإسلام مفتي مصر والشام محمد بن أحمد الرملي، والعلامة الشيخ محمد الخطيب الشربيني، والعلامة عبد الله بن عمر بامخرمة، والعلامة عبد الرؤف بن يحيى الواعظ رحمهم الله تعالى ونفعنا بعلومهم. وقد لقنه شيخه العارف بالله زين العابدين أبو بكر محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي الذكر الجلي بالنفي والإثبات سنة ستة وستين وتسعمائة حين كان مجاورا في مكة المكرمة زادها الله شرفا[2].

وتفوق الشيخ زين الدين على أقرانه وزملائه بمكة المكرمة في جميع العلوم سيما في الحديث حتى اشتهر بينهم بـ "المحدث" على الإطلاق. وكان للشيخ زين الدين علاقة وطيدة بشيخه شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي رحمه الله، وكان محببا إليه حتى إن الشيخ ابن حجر رحمه الله زاره في جامعه بفنّان، وجلس فيه للتدريس عدة شهور، وصنف هناك بعض فتاواه[3].

---

1) كما قال هو نفسه في آخر كتابه الأجوبة العجيبة.

2) ترجمة مصنف فتح المعين المطبوعة مع فتح المعين الذي طبع في مطابع مليبار المختلفة.

3) كما يتناقله علماء مليبار بكل فخر واعتزاز، وكما قاله الدكتور عبد المنعم النمر المصري في تاريخ الإسلام في الهند، والدكتور عبد النصير في تراجم علماء الشافعية في الديار الهندية، وفي ترجمة الشيخ زين الدين كتبها عبد النصير مقدمة لتحقيقه كتابه الأجوبة العجيبة. وقال الدكتور عبد النصير: "وربما تكون النسخة القلمية من فتاوى ابن حجر الموجودة في مكتبة العلامة الشيخ شهاب الدين أحمد كويا الشالياتي المليباري بكاليكوت هي تلك التي ألفها ابن حجر أثناء إقامته في فنّان".

وقد تشرف الجامع الكبير بفنان بتواجد المخدوم الصغير مدرسا فيه مدة ستة وثلاثين عاما[1]. ويتناقل علماء مليبار كابرا عن كابر أن الشيخ زين الدين كان يدرس في الطابق الأول للمسجد لطلاب الإنس، وفي الطابق الثاني له لطلاب الجنّ.

وكانت للشيخ زين الدين علاقة إرشاد ونصيحة على سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى سبيل القيام بالخير للإسلام والمسلمين مع سلاطين مختلف مناطق الهند مثل السلطان أكبر شاه المتوفى سنة 1014هـ، والسلطان إبراهيم علي عادل شاه سلطان بيجابور المتوفى سنة 988هـ، والسلطان محمود علي عادل شاه المتوفى سنة 1037هـ، كما كان له اتصال مستمر ببعض ملوك وأمراء البلاد الخارجية أيضا كما هو مشهور.

وقد فاض من قلمه المبارك عدة مؤلفات قيمة مفيدة ونافعة جدا. وهي:

1) قرة العين بمهمات الدين وهو مختصر في الفقه الشافعي
2) فتح المعين بشرح قرة العين
3) تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين[2]
4) إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد
5) إحكام أحكام النكاح
6) المنهج الواضح شرح أحكام النكاح
7) الأجوبة العجيبة عن الأسئلة الغريبة
8) مختصر شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور للإمام السيوطي رحمه الله

---

1) تاريخ العالم الإسلامي لعبد الرحمن باوا بن محمد المليباري (ط. سنة 2011م)، ص:244.

2) يعتبر كأول كتاب صنف في تاريخ لمليبار، فكل من جاء بعده من المؤرخين عيال الشيخ زين الدين فيما كتبوا عن كيرالا وعاداتها وطقوسها الغريبة. وقد ترجم الكتاب إلى أكثر من ثلاثين لغة أجنبية.

9) الجواهر في عقوبة أهل الكبائر

10) الفتاوى الهندية

واختلف المؤرخون في تعيين موضع ولادة الشيخ زين الدين، والمعتمد أنه ولد في "تشومبال"(chompal) قريب ماهي(mahe) بلد والده[1] سنة 938هـ ثمان وثلاثين وتسعمائة[2].

وقد اختلفوا في تاريخ وفاته على ثلاثة آراء فقيل إنه توفي سنة 978، وقيل في سنة 991، وقيل في سنة 1028 هـ. والذي يميل إليه القلب ما رجحه الدكتور عبد النصير من أنه توفي سنة 1028هـ. قال عبد النصير ما نصه: "والذي أراه صحيحا فيما يتعلق بوفاة الشيخ رحمه الله هو ما ذكره مؤرخ الهند الكبير الشيخ محمد علي مسليار النلكتي في كتابه الجليل تحفة الأخيار في تاريخ علماء مليبار من أنه توفي في عام 1028، فيكون قد عاش قرابة تسعين عاما. وقد اعتمدت على قوله لما أحطت منه من خبرة دقيقة فائقة في تاريخ علماء مليبار ولكونه منتميا إلى آل مخدوم فيكون أدرى بحالهم من غيرهم والله أعلم"[3]. وأما ما ذكره الشيخ عبد الرحمن باوا المليباري في كتابه تاريخ العالم الإسلامي[4] تابعا لعبد المنعم النمر المصري من أنه توفي في عام 991 هـ ففيه نوع بعد، لأنه يكون عمره حين وفاته ثلاث وخمسين سنة وقد صرح الشيخ عبد الرحمن باوا نفسه أن الشيخ زين الدين مكث بمكة عشر سنوات[5]، وأنه بعد رجوعه من

---

1) محمد عبد المنعم النمر في تاريخ الإسلام في الهند ص:126.

2) الشيخ محمد علي مسليار النلكتي، تاريخ العالم الإسلامي لعبد الرحمن باوا بن محمد المليباري، ص: 243.

3) ترجمة الشيخ زين الدين كتبها عبد النصير مقدمة لتحقيقه كتابه الأجوبة العجيبة ص: 42.

4) تاريخ العالم الإسلامي لعبد الرحمن باوا بن محمد المليباري، ص: 245.

5) المرجع السابق، ص: 243.

الحجاز إلى وطنه قضى بقية حياته مدة ست وثلاثين سنة مدرسا مربيا في المسجد الجامع الكبير بفنان. فينبغي أن يكون سفره إلى مكة حين كان عمره سبع سنوات[1]، وهذا بعيد حيث لم يعرف أن أحدا من أقربائه أو غيره ذهب به إلى مكة المكرمة زادها الله شرفا. وبالإضافة إلى ذلك قد صرح قال العلامة أحمد ابن الشيخ زين الدين المخدوم الأخير ابن ماحن حسن – كما سبق – أن صاحب فتح المعين لقنه شيخه العارف بالله زين العابدين أبو بكر محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي الذكر الجلي بالنفي والإثبات سنة ستة وستين وتسعمائة حين كان مجاورا في مكة المكرمة زادها الله شرفا[2]. فصاحب فتح المعين كان بمكة المكرمة سنة ستة وستين وتسعمائة. ثم لو فرض أنه رجع إلى فنان في نفس السنة وقضى بقية حياته مدة ست وثلاثين سنة مدرسا مربيا في المسجد الجامع الكبير هناك – كما سبق عن الشيخ عبد الرحمان باوا المليباري – ينبغي أن يكون حيا سنة اثنتين والألف، فليس وفاته عام 991.

قال الشيخ شهاب الدين أحمد كويا الشالياتي رحمه الله في البيان الموثوق لمحل انتظار المسبوق ما نصه: فتح المعين للعلامة الشيخ أحمد زين الدين ابن الشيخ محمد الغزالي الجوباني المليباري...، وجوبان معرب chompal قريب ماهي فرانس. وقبره في الجانب الجنوبي مائلا إلى الشرق خارج البناء المشهور هناك. وأما القبور التي في داخله فلمن ورد إلى ساحل مليبار من التابعين كما أخبر به الثقات"[3]. ولكن بلغني عن الشيخ إسماعيل أحمد النلِّكُتّي أنه سأل الشيخ الفقيه المحقق صدقة الله مسليار الوَنْدُوري عن قبر الشيخ زين الدين فأجاب بكلام فيه نوع من المزاح كما هو أسلوب الشيخ صدقة الله

---

1) المرجع السابق، ص: 244.

2) ترجمة مصنف فتح المعين المطبوعة مع فتع المعين الذي طبع في مطابع مليبار المختلفة.

3) البيان الموثوق ص:30 كما نقله سَيْدالِ مُسْلِيار النَّمْبْراوي في الصفحة الأخيرة من تعليقاته على فتح المعين.

فقال: "إنه يُشدّ الرحال في صغري إلى فنّان لزيارة الشيخ زين الدين، أما الآن فيُشدّ إلى جوبان". ولا يخفى أن هذا الكلام تضعيف ما قال الشيخ أحمد كويا الشالياتي. والذي تلقيتُ من شيخي وأستاذي الفقيه المحقق محمد مسليار الكُنُّمْفُرَمي عن مشايخه وسلفه من علماء مليبار ومن أشهرهم الشيخ بيران كُتّي الكَيْفَتّي ما يوافق رأي الشيخ صدقة الله مسليار. هذا هو المشهور كما ذكر الشيخ عبد الله بن محي الدين الأَلَنَلُّوري[1]، والشيخ محمد بن البخاري الفيضي المليباري[2] لكن رجّحا إلى ما قال الشيخ شهاب الدين الشالياتي، فالله تعالى أعلم بحقيقة الحال.

****

مراجع فتح المعين ومصادره

قال الشيخ زين الدين عليه من الله الرحمة والرضوان بيانا لمصادر ومراجع كتابَيْه قرة العين بمهمات الدين، وفتح المعين شرح قرة العين: "انتخبته وهذا الشرح من الكتب المعتمدة لشيخَيْنا خاتمةِ المحققين شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، وبقيةِ المجتهدين وجيه الدين عبد الرحمن بن زياد الزبيدي رضي الله عنهما وشيخَيْ مشايخِنا شيخ الإسلام المجدِّد زكريا الأنصاريّ، والإمام الأمجد أحمد المزجّد الزبيدي رحمهما الله تعالى وغيرهم من محققي المتأخرين، معتمدا على ما جزم به شيخا المذهب النوويُّ، والرافعيُّ، فالنوويُّ، فمحققو المتأخرين رضي الله عنهم[3].

****

1) في إسفار الظلام عن أسفار الأعلام، ص: 97.

2) تاريخ الأبرار ممن تدرس كتبهم في ديار مليبار (ط. سنة 1415هـ)، ص: 239.

3 فتح المعين، ص: 4.

محتويات فتح المعين وترتيب أبوابه

اشتمل الكتاب على أربعة أرباع للفقه الإسلامي جميعا، وهي العبادات والمعاملات والمناكحات والجنايات. وقد نهج المصنف رحمه الله في كتابه فتح المعين منهج الفقهاء السالفين حيث قدم ربع العبادات في ترتيب كتابه لشرفها بتعلقها بالخالق، ثم ربع المعاملات لأن الاحتياج إليها أكثر حيث أنها تتعلق بأمور معاشهم، ثم ربع المناكحات لأنها تكون بعد استيفاء شهوة البدن، ثم ربع الجنايات لأنها تقع بعد استيفاء شهوتي البطن والفرج، وأخيرا ختم كتابه أيضا بذكر باب العتق رجاء العتق من النار.

فهو يحقق هدف بعثة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام حيث بُعثوا لتنظيم أحوال ذوي العقول في المعاش والمعاد، ولا تنتظم أحوالهم إلا باستكمال قواهم الإدراكية وقواهم الشهوانية البطنية والفرجية وقواهم الغضبية، فوضع الفقهاء لكمال قواهم الإدراكية ربع العبادات ولقواهم الشهوانية البطنية ربع المعاملات ولقواهم الشهوانية الفرجية ربع المناكحات ولقواهم الشهوانية الغضبية ربع الجنايات ثم ختموا كتبهم الفقهية بعد هذه الأرباع الأربعة بالبحث عن مسائل العتق رجاء العتق من النار[1].

كما قال الشاعر:

تَفَقَّهْ فإنّ الفقهَ أفـــــــــضـلُ قائدٍ   إلى البرِّ والتقوى وأعدلُ قاصدٍ
هو العلم الهادي إلى سُنَنِ الهُدى   هو الحِصْنُ يُنْجي مِن جميع الشدائد
فإنّ فـقيهًا واحدًا مُتورِّعًا   أشدُّ على الشيطان مِن ألفِ عابد[2].

---

1 السيد البكري : إعانة الطالبين ، ج 1 ص 21

2 فضائل العلوم ص 39

ولكنه رحمه الله خالفهم حيث بدأ كتابه بباب الصلاة، ولم يبدأ بكتاب الطهارة. وبين فيها وجوب المكتوبة على كل مكلف، ووجوب قتل من أخرها كسلا، ووجوب المبادرة بقضاء الفائت، وما يجب على الأولياء من أمر الصبي بها من سبع وضربه على تركها من عشر، وما هو أول واجب عليهم من تعليم الصبي أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بمكة ودفن بالمدينة، وتوابعها ومتعلقاتها اهتماما بأمر الصلاة إذ هي أهم العبادات الشرعية وأفضل ما يعمله المرأ ببدنه بعد الشهادتين، وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة[1].

****

مكانة فتح المعين عند الشافعية

كتابه فتح المعين خير شاهد على براعته ومهارته في الفقه حيث طوى الكتاب كنوز بحار الفقه في كوز قرة العين فأتى الكتاب كالعجب العجاب قام بشرحه والتحشية عليه العلماء الكبار من العرب والعجم. ولو لا كتاب آخر له سوى هذا لكفى به فخرا وشرفا في الدنيا والآخرة. ومتنه في الفقه مختصر جدا. وفي شرحه نوع من البسط، لكن يعدّ من المختصرات قلّ في وجه الأرض مثله وجلّ في العرب والعجم فضله.

شاعر يمنيّ من كبار علماء الفقه الإسلامي يصف فتح المعين بقوله:

1 راجع إعانة الطالبين ج: 1، ص: 21.

يا مَن يُريد النجاحا   وللعلوم افتتاحا

فتحُ المعين فلازمْ   له مساء وصباحا

واجعله خيرَ سَمير   تُعْطَ الهدى والفلاحا

غُصْ في معانيه تَلْقَ   كنوزَ فتوًى صِحاحا[1]

يقول العالم الفاضل فريد بن محيي الدين البربري المتوفى سنة **1300**ه في قصيدته المشهورة في مدح فتح المعين:

فتح المعين كتابٌ شأنُه عجبٌ   حَوَى من الفقه ما لم يَحْوِهِ كتبٌ

وقدْ رَقَى في اختصار اللفظ ذِرْوَتَه   حتى تَهُونَ على حفّاظه الكُرَب

كم مِنْ لآلِي حِسانٍ فيه كامنةٌ   عن غير أهل لها تُخفَى وتُحتجَب

وقد حوى مِن نصوص الشافعي ومِن منصوص أصحابه ما كان يُنتخب

أحكام مذهبنا فيه مُبَوَّبة   أثنى على حُسْنِ تأليفٍ له العربُ

فلا تُبالِ بمن زاغَتْ بصيرتُه   عن قدْره فهو أعمى فاتَه الشَّنَبُ

فيه الغِنَى غالبا عن سائر الكتب   وذاك فَضلٌ علينا شُكرُه يَجِب[2]

يقول السيد علوي بن أحمد السقاف: "إن كتاب فتح المعين للإمام العلامة والحبر الفهامة الشيخ عبد العزيز المليباري[3]رحمه الله تعالى مما كثر نفعه وعظم عند أهل العلم وقْعُه ولإتيانه من مذهب الإمام الشافعي بالزبدة ومن كلام المتأخرين بالصفوة مع تجنبه النوادر واقتناصه الشوارد إلا انه محتاج لتقويم عبائر اختصرها من كلامهم..."[4].

---

1) محمد علي مسليار النلكتي في أعيان مليبار، ص: 29، والبيان الموثوق لمحل انتظار المسبوق ص:30.

2) فتح المعين، ص 495 طبع سنة 1333ه

3) أخطأ الشارح هنا في تسمية صاحب فتح المعين كما أخطأ بعض الشراح في تسمية أبيه، فإن صاحبه هو الشيخ أبو بكر أحمد زين الدين بن محمد الغزالي، وعبد العزيز عمه كما سبق.

4) ترشيح المستفيدين بتوشيح فتح المعين، ص: 2.

فلأجل تلقي الأمة بقبول فتح المعين أدخلوه في مقررات حلقات الدروس والمدارس والكليات الشرعية لتعليم الفقه الشافعي بديار مليبار وغيرها من البلاد الهندية وخارجها من مصر والشام والحجاز واليمن وماليزيا وإندونيسيا وسنغافورا حتى في مكة المكرمة زادها الله شرفا.

ويقول السيد أبو بكر المشهور بالسيد البكري ابن محمد شطا الدمياطي المصري نزيل مكة المكرمة في كتابه "إعانة الطالبين" عن سبب تحشيته لفتح المعين وعن صاحبه ما نصه: "لما وفقني الله تعالي لقراءة شرح العالم العلامة العارف الكامل مربي الفقراء والمريدين والأفاضل الجامع لأصناف العلوم الحاوي لمكارم الأخلاق مع دقائق الفهوم الشيخ زين الدين ابن الشيخ عبد العزيز[1] ابن العلامة الشيخ زين الدين مؤلف هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء ابن الشيخ علي ابن الشيخ أحمد الشافعي المليباري الفناني المسمى بفتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين بمحفل من طلاب العلم العظام تجاه البيت الحرام...

وبالتالي طبعوا الكتاب في مطابع شتى من بلادهم ففي ديار مليبار طبع فتح المعين مرارا لا تحصى حدّا ولا عدّا وكذلك طبع في بلاد المسلمين مثل مصر والشام واليمن وماليزيا وإندونيسيا وسنغافورا وغيرها حتى من الحجاز كرات لاتحصى كثرة.

وقد ظفر فتح المعين بمنزلة مرجع من مراجع الفقه الشافعي عند متأخري الشافعية. ويشهد لذلك ما صنع العلامة عبد الحميد المكي الشرواني المتوفى سنة 1301هـ في حاشيته على تحفة المحتاج من نقل قول فتح المعين في كثير من المواضع. فعلى سبيل المثال قال في باب صلاة الجمعة: "ولشدة اعتناء السلف الصالح بها أي الجمعة كانوا يبكرون لها على السرج، فاحذر أن تتهاون في تركها مسافرا أو مقيما ولو مع دون أربعين

1) أخطأ المحشي هنا في تسمية أبيه، فإن والده محمد الغزالي، وعبد العزيز عمه كما سبق.

بتقليد، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم اهـ حاشية الشيخ عبد الله الجَرهزي الزبيدي على شرح بأفضل. ويأتي عن فتح المعين ما يوافقه"[1]. وقال بعده في شرح قول المتن (بأربعين): "وسئل البلقيني عن أهل قرية لا يبلغ عددهم أربعين هل يصلون الجمعة أو الظهر فأجاب رحمه الله تعالى بأنهم يصلون الظهر على مذهب الشافعي. وقد أجاز جمع من العلماء أن يصلوا الجمعة وهو قوي فإذا قلدوا أي جميعهم من قال هذه المقالة فإنهم يصلون الجمعة وإن احتاطوا فصلوا الجمعة ثم الظهر كان حسنا. فتح المعين، وتقدم عن الجرهزي ما يوافقه"[2].

وكذلك قال العلامة الشرواني رحمه الله في مسألة تلقين الميت بعد دفنه من كتاب الجنائز: "ويقعد الملقن عند رأس القبر. مغني. عبارة فتح المعين فيقعد رجل قبالة وجهه ويقول يا عبد الله بن أمة الله الخ. وعبارة النهاية ويقف الملقن عند رأس القبر وينبغي أن يتولاه أهل الدين والصلاح من أقاربه وإلا فمن غيرهم اهـ"[3]. ففيه ترجيح رأي المغني أن الملقِّن للميت يقعد خلاف ما قال النهاية أنه يقف استنادا إلى قول فتح المعين. فلله در مصنفه الشيخ زين الدين عليه من الله الرحمة الرضوان وعلينا من فيوضاته وبركاته.

وقال العلامة الشرواني رحمه الله في حرمة نظر الأجنبية ومسها من كتاب النكاح: "والذي أفهمه التخصيص حرمة مس الوجه أيضا اهـ رشيدي ويأتي عن فتح المعين ما يوافقه"[4]. ثم قال في شرح قول الشارح: "(مس وجه أجنبية) أي بلا حائل أخذا مما ذكره في شرح "ويحل نظر رجل إلى رجل" الخ، لكن قدمنا هناك عن الرشيدي الميل إلى الإطلاق، وهو الظاهر. ثم رأيت في فتح المعين ما نصه: وحيث حرم نظره حرم مسه بلا

---

1) حاشية الشرواني على تحفة المحتاج 405/2.

2) المرجع السابق 431/2.

3) المرجع السابق 207/3.

4) المرجع السابق 198/7.

حائل نعم يحرم مس وجه الأجنبية مطلقا اه"[1]. ونقل العلامة الشرواني قول فتح المعين تأييدا لاعتراض الرشيدي على ابن حجر وموافقة الشرواني للرشيدي في استثناء ابن حجر وجه الأجنبية من حكم حرمة مسه بحائل وأمن فتنة. فما أرفع مكانةَ فتح المعين بين كتب مؤلفات الفقه الشافعي.

وقال العلامة الشرواني رحمه الله في مسألة ما يحرم نظره من جسد الرجل أو المرأة حالة اتصاله يحرم نظره بعد انفصاله أيضا من كتاب النكاح على قول ابن حجر كقلامة يد الخ: "عبارة المغني كشعر عانة ولو من رجل وقلامة ظفر حرة ولو من يدها اه وعبارة فتح المعين كقلامة يد أو رجل وشعر امرأة وعانة رجل اه"[2]. ثم قال في مسئلة مواراة القلامة وشعر العانة ردا على ما قال علي الشبراملسي من أن إطلاق القلامة يشمل قلامة ظفر الرجل والمرأة: "أقول: وتقدم عن المغني، وفتح المعين تقييد القلامة بكونها من ظفر الحرة"[3]. فأيد الشرواني بمساعدة عبارة فتح المعين ما يقتضيه صنيع ابن حجر رحمه الله في تأخير عانة الرجل عن قلامة يد ورجل وشعر المرأة من أن القلامة قلامة المرأة فقط كشعرها.

وبالإضافة إلى نقله عبارة فتح المعين نقل ما قاله العلامة باصبرين في حاشية فتح المعين بيانا لقيد قيّد به الشيخ زين الدين في مسئلة النذر. وأخذ العلامة باصبرين من مفهوم قيده أنه يجوز النذر لأهل البيت، فجعل العلامة الشرواني قول باصبرين حلا نهائيا لاختلاف كبير بين العلماء، فقال ما نصه: "عبارة بأصبرين في حاشية فتح المعين قوله ما لم يعين شخصا أي وإلا فيتعين صرفه إلى ذلك الشخص ولو كان من بني هاشم وبني عبد

---

1) المرجع السابق 201/7.
2) المرجع السابق 207/7.
3) المرجع السابق 207/7.

المطلب فنذر غير السيد للسيد بخصوصه ونذر السيد للسيد بخصوصه صحيح كنذر الوالد لولده وكالنذر لغني بخصوصه اه"[1].

وممن نقل من فتح المعين في كتابه عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن عمر باعلوي في كتابه بغية المسترشدين[2].

وهناك أمثلة عديدة من هذا القبيل[3]. فرجوع مثل العلامة الشرواني إلى فتح المعين في أماكن تحتاج إلى حل حاسم أكبرُ شاهد حيٍّ لمكانته الرفيعة ومنزلته الشامخة بين مؤلفات الفقه الشافعي. فنرى في الشيخ زين الدين رجلا حَكَما يفصل الخلاف بين العلماء ويُنهي حيرة النبهاء. والله إنه لفضل عظيم.

فبهذه المرتبة العظيمة لكتاب فتح المعين في الفقه الشافعي ظهر سر عادة علماء مليبار من ملازمتهم إياه كمرجع أصلي للفتوى، ومن بين متأخري علماءهم اشتهرت عادة الفقيه المحقق قُطْبي محمد مسليار بملازمة فتح المعين أكثر من غيره. وكانوا يتواصون بالرجوع إلى فتح المعين ومراجعته إذا حدث لهم حادث فصدق عليهم معنى قوله تعالى {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}[4] فنجحوا في الدينا والآخرة، فلله الحمد.

وكان من عادة علماء مليبار أن يقضوا لقراءة فتح المعين ست سنوات أو أكثر، وكان طريقهم في التعليم طريق حل العبارات وقراءة الحواشي والهوامش دون طريقة

---

1) المرجع السابق 80/10.
2) انظر بغية المسترشدين ص:29، 97، 128.
3) راجع حاشية الشرواني على تحفة المحتاج ج: 7، ص: 217، 218، 224، 235، 236، 277، 426، ج: 8، ص: 34، ج: 10، ص: 79، 92.
4) سورة العصر:3.

المحاضرة. فلذلك كانوا يقرؤون تابعا لقراءة فتح المعين كتب العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله وكتاب العلامة محمد الرملي رحمه الله وكتاب العلامة الخطيب الشربيني رحمه الله وكتب شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله وحواشي هذه الكتب. ومع ذلك يطالعون كتب شيخَي المذهب الإمام النووي والإمام الرفعي رحمهما الله تعالى. فعند ما يفرغ الطالب من قراءة فتح المعين يتمّ قراءة أهم الكتب في الفقه الشافعي من منهاج الطالبين وشرح المهذب والشرح الكبير وتحفة المحتاج ونهاية المحتاج ومغني المحتاج وفتح الجواد وشرح بافضل والمنهج وشرح المنهج وحاشية ابن قاسم وحاشية الشوراني وحاشية الشبراملسي وحاشية الرشيدي وحاشيتَي البجيرمي على المنهج والإقناع وحاشية الجمل وحاشية الكردي وغيرها. وبالتالي يُعتبر الفارغ من قراءة فتح المعين أهلا للإفتاء في الفقه الشافعي فما أقوم مسلكم وما أثمر منهج تعليمهم.

****

ميزات فتح المعين وخصائصه

1) أسلوب منطقي في التأليف: اختار المصنف الأسلوب المنطقي الذي يُعتبر كأحسن الأساليب في التأليف. وذلك ببيان ماهيات المصطلحات الشرعية والفقهية فيبيّن أولا معناه اللغوي ثم الشرعي ثم يذكر أنواعه وأفراده ثم يذكر عنه فردا أو مجموعا ما أراد أن يذكر من الأحكام وتوابعها. وذلك يساعد القارئ أن يصور الموضوع تصورا صحيحا وذلك أوقع في النفس لإدراك الأحكام المحمولة عليها. فعلى سبيل المثال يعرّف الصلاة ويقول: "هي شرعا أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم وسميت بذلك لاشتمالها على الصلاة لغة وهي الدعاء والمفروضات العينية خمس في كل يوم وليلة معلومة من الدين بالضرورة فيكفر جاحدها ولم تجتمع هذه الخمس لغير نبينا محمد صلى

الله عليه وسلم وفرضت ليلة الإسراء بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر ليلة سبع وعشرين من رجب ولم تجب صبح يوم تلك الليلة لعدم العلم بكيفيتها". وكذلك عرّف الشرط والطهارة بصدد بيانه شروط الصلاة وقال: "الشرط ما يتوقف عليه صحة الصلاة وليس منها وقدمت الشروط على الأركان لأنها أولى بالتقديم إذ الشرط ما يجب تقديمه على الصلاة واستمراره فيها (شروط الصلاة خمسة أحدها طهارة عن حدث وجنابة) الطهارة لغة النظافة والخلوص من الدنس وشرعا رفع المنع المترتب على الحدث أو النجس".

2) اهتمامه ببعض القضايا: أولى المصنف لبعض القضايا أهمية بالغة نظرا إلى أنها حازت علاقة قوية للموضوعات الأساسية، فعبر عنها بترجمة الفروع، وأتى رحمه الله تعالى من هذا النوع تنبيهات وفروعا فعلى سبيل المثال قوله: "(تنبيه) من مات وعليه صلاة فرض لم تُقْضَ ولم تُفْدَ عنه وفي قول أنها تفعل عنه أوصى بها أم لا حكاه العبادي عن الشافعي لخبر فيه وفعل به السبكي عن بعض أقاربه"[1]. وكذلك قوله: "(تنبيه) ذكر السمعاني في زوجة صغيرة ذات أبوين أن وجوب ما مر عليهما فالزوج وقضيته وجوب ضربها وبه ولو في الكبيرة صرح جمال الإسلام البِزْري قال شيخنا وهو ظاهر إن لم يخش نشوزا وأطلق الزركشي الندب"[2]. وذلك اهتماما بأمر الصلاة. وأيضا قوله: "(فرع) لو أدخل المتوضىء يده بقصد الغسل عن الحدث أوْ لا بقصدٍ بعد نية الجنب أو تثليث وجه المحدث أو بعد الغسلة الأولى إن قصد الاقتصار عليها بلا نية اغتراف ولا قصد أخذ الماء لغرض آخر صار مستعملا بالنسبة لغير يده فله أن يغسل بما فيها باقي ساعدها"[3].
وذلك اهتماما بأداء الواجبات بكل احتياط حتى لا يخسر في الآخرة.

---

1 فتح المعين ص:6.

2 المرجع السابق ص:7.

3 المرجع السابق ص:9.

3) موقفه الصارم ضد المبتدعة: يظهر موقف المصنف الصارم ضدّ المبتدعة والفسقة حيث نصّ على مشروعية ترك الموالاة معهم كلما سنحت له الفرصة. وذلك ليس بدعا منه بل هو ما يطالب كلام الله العزيز وكلام سيد المرسلين وسيرة سلف الصالحين ومن تبعهم بإحسان، فعلى سبيل المثال قال في باب الجماعة: "(وهي بجمع كثير أفضل) منها في جمع قليل، للخبر الصحيح "وما كان أكثر فهو أحب إلى الله تعالى... (إلا لنحو بدعة إمامه) أي الكثير كرافضي أو فاسق..." [1]، وقد مثّل المبتدع صريحا بالرافضي الذي يتواجد في زمنه في بعض بلاد المسلمين. وكذلك قال في باب الكفاءة: "(ولا) أي يكافئ (عفيفةٌ) وسُنِّيَّةٌ غيرَهما من فاسقٍ ومبتدعٍ"[2]. وأيضا ما قال في حكم السلام: "بل يسن تركه أي السلام على مجاهرٍ بفسقه ومرتكبِ ذنب عظيم لم يتب منه ومبتدعٍ"[3].

4) إنكاره على اتخاذ الحيلة في ترك العبادة: شدد النكير على من يتخذ الحيلة لترك عبادة، مثلا قوله: "(وكره) أن يزيل ملكه ببيع أو مبادلة عما تجب فيه الزكاة (لحيلة) بأن يقصد به دفع وجوب الزكاة لأنه فرار من القربة وفي الوجيز يحرم وزاد في الإحياء ولا يبرىء الذمة باطنا وأن هذا من الفقه الضار وقال ابن الصلاح يأثم بقصده لا بفعله"[4].

5) إنكاره على العادات المنكرة: أنكر على عادات منكرة لبعض الناس مثلا قوله: "...وأما أحاديث الاكتحال والغسل والتطيب في يوم عاشوراء من وضع الكذابين"[5]. وأيضا أنكر على عادة بعض المتصوفة في تعدد الخاتم بقوله: "ولا يجوز تعدده اي الخاتم

---

1 المرجع السابق ص:115.

2 المرجع السابق ص:369.

3 المرجع السابق ص:465.

4 المرجع السابق ص: 166.

5 المرجع السابق ص: 203.

خلافا لجمع حيث لم يعدّ إسرافا"[1]. وكذلك أنكر على بعض العادات يوم العقيقة فقال: "قال شيخنا: أما قراءة سورة الأنعام إلى {رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين} يوم يعق عن المولود فمن مبتدعات العوام الجهلة فينبغي الانكفاف عنها وتحذير الناس منها ما أمكن انتهى"[2]. وكذلك قوله: "ولا (يجب إجابة الوليمة) إلى محل فيه منكر لا يزول بحضوره ومن المنكر ستر جدار بحرير وفرش مغصوبة أو مسروقة ووجود من يضحك الحاضرين بالفحش والكذب فإن كان حرمت الإجابة ومنه صورة حيوان مشتملة على ما لا يمكن بقاؤه بدونه وإن لم يكن لها نظير كفرس بأجنحة وطير بوجه إنسان على سقف أو جدار أو ستر علق لزينة أو ثياب ملبوسة أو وسادة منصوبة لأنها تشبه الأصنام فلا تجب الإجابة في شيء من الصور المذكورة بل تحرم"[3].

6) اهتمامه بكثرة حاجات الناس: بين حكم ما هو متداول في مليبار وتناول المسائل ذات الصلة العميقة بالجوّ الكيرالاوي حيث قال: "واعلم أن الأرز مما يدّخر في قشره ولا يؤكل معه فتجب فيه إن بلغ عشرة أوسق"[4]. وكذلك بيان ما يتعلق بالعالِم من أن الكتب المحتاجة لعالم من حوائجه الأساسية فلذلك لا تمنع تلك الكتب فقره كما قال: "والفقير من ليس له مال ولا كسب لائق يقع موقعا من كفايته وكفاية ممونه ولا يمنع الفقرَ مسكنه وثيابه ولو للتجمل في بعض أيام السنة وكتبٌ يحتاجها..."[5]. وأيضا يقول: "يفطر من ابتلع ريقا متغيرا بحمرة تنبل وإن تعسر إزالتها أو بصبغ خيط فتله بفمه،... من بلّ خيطا أو سواكا بريقه أو بماء فرده إلى فمه وعليه رطوبة تنفصل وابتلعها فيفطر بخلاف ما لو لم

---

1 المرجع السابق ص: 167.
2 المرجع السابق ص: 219.
3 المرجع السابق ص: 380.
4 المرجع السابق ص: 168.
5 المرجع السابق ص: 178.

يكن على الخيط ما ينفصل لقلته أو لعصره أو لجفافه فإنه لا يضر كأثر ماء المضمضة وإن أمكن مجه لعسر التحرز عنه فلا يكلف تنشيف الفم عنه"[1].

وأيضا يقول بصدد تعداد المعفوات من النجاسة نقلا عن ابن حجر والسيوطي رحمهما الله تعالى: "وروث ما نشؤُه من الماء أو بين أوراق شجر النارجيل التي تُستر بها البيوت عن المطر حيث يعسر صون الماء عنه قال جمع وكذا ما تُلقيه الفئران من الروث في حياض الأخلية إذا عم الابتلاء به ويؤيده بحث الفزاري وشرط ذلك كله إذا كان في الماء أن لا يغير انتهى"[2]. وكذلك ذكر حكم ما اعتاد مسلمو كيرالا من تثقيب أذن الصبية فقال: "(وحرم تثقيب) أنف مطلقا (وأذن) صبي قطعا وصبية على الأوجه لتعليق الحلق كما صرح به الغزالي وغيره لأنه إيلام لم تدع إليه حاجة وجوزه الزركشي واستدل بما في حديث أم زرع في الصحيح وفي فتاوى قاضيخان من الحنفية أنه لا بأس به لأنهم كانوا يفعلونه في الجاهلية فلم ينكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الرعاية للحنابلة يجوز في الصبية لغرض الزينة ويكره في الصبي انتهى ومقتضى كلام شيخنا في شرح المنهاج جوازه في الصبية لا الصبي لما عرف أنه زينة مطلوبة في حقهن قديما وحديثا في كل محل وقد جوز صلى الله عليه وسلم اللعب لهن بما فيه صورة للمصلحة فكذا هذا أيضا والتعذيب في مثل هذه الزينة الداعية لرغبة الأزواج إليهن سهل محتمل ومغتفر لتلك المصلحة فتأمل ذلك فإنه مهم"[3].

7) مسايرته مع زمنه وعصره: وبين الموازين والمكاييل الشرعية بمعايير الوزن والكيل المتداولة في زمانه مثلا قوله: "والمثقال إثنان وسبعون حبةَ شعير متوسطةً قال الشيخ زكريا

---

1 المرجع السابق ص: **193**.

2 المرجع السابق ص **34-35**.

3 المرجع السابق ص **360-361**.

ووزن نصاب الذهب بالأشرفي خمسة وعشرون وسُبعان وتُسع وقال تلميذه شيخنا والمراد بالأشرفي القايتبايي"[1]. وقوله: "وهو أي الدرهم خمسون حبةً وخُمسا حبة فالعشرة دراهم سبعة مثاقيل"[2].

8) ترغيب الناس وترهيبهم: يبين فضائل العبادات ترغيبا للناس فيها مثاله ما ذكر في فضل صوم التطوع مطلقا: "وله من الفضائل والمثوبة ما لا يحصيه إلا الله تعالى ومن ثم أضافه تعالى إليه دون غيره من العبادات فقال كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به وفي الصحيحين من صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا"[3]. وكذلك ما ذكره في مشروعية إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء: "وذلك لخبر الشيخين إن أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل زاد مسلم وتحجيله أي يدعون بيض الوجوه والأيدي والأرجل"[4].

وأيضا ما ذكره في فضل الشهادتين والدعاء بعد الوضوء: "لما روى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فقال أشهد أن لا إله إلا الله الخ فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء زاد الترمذي اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين وروى الحاكم وصححه من توضأ ثم قال سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتب في رق ثم طبع بطابع فلم يكسر إلى يوم القيامة أي لم يتطرق إليه إبطال كما صح حتى يرى ثوابه العظيم"[5].

---

1 المرجع السابق ص 164.
2 المرجع السابق ص 165.
3 المرجع السابق ص 202.
4 المرجع السابق ص: 19.
5 المرجع السابق ص: 21.

9) اعتبار غفلة الناس وتساهلهم: وقد شدّد في بعض الأحكام دفعا لتساهل الناس باعتبار الخفة وذلك من واجب العلماء نحو الأمة. مثاله ما ذكر في حلق اللحية: "ويحرم حلق لحية"[1].

10) التسهيل على الناس: وفي حين لآخر يبيّن الآراء المرجوحة في المسائل. وذلك تسهيلا على الناس عملهم بتقليدهم إياه حسب الحاجة والاضطرار. مثاله قوله في تبييت نية الصوم: "... فلو نوى أول ليلة رمضان صوم جميعه لم يكف لغير اليوم الأول. قال شيخنا لكن ينبغي ذلك ليحصل له صوم اليوم الذي نسي النية فيه عند مالك كما ينبغي له أن ينوي أول كل يوم نسيها في ليلته ليحصل له صومه عند أبي حنيفة. وواضح أن محله إن قلده وإلا كان متلبسا بعبادة فاسدة في اعتقاده[2].

11) نزعة التصوف والورع: وذلك بالتشجيع على إكثار العبادة والاحتراز عن مواقع الشبه، مثاله قوله: "(و)سنّ ومع التأكد (برمضان) وعشره الأخير آكد (إكثار صدقة) وتوسعة على عيال وإحسان إلى الأقارب والجيران للإتباع وأن يفطّر الصائمين أو يعشّيهم إن قدر وإلا فعلى نحو شربة وإكثار (تلاوة) للقرآن في غير نحو الحشّ ولو نحو طريق، وأفضل الأوقات للقراءة من النهار بعد الصبح ومن الليل في السحر وبين العشائين وقراءة الليل أولى وينبغي أن يكون شأن القارئ التدبر، وقال أبو الليث في البستان ينبغي للقارئ ان يختم القرآن في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة وقال أبو حنيفة من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى حقه وقال أحمد يكره تأخير ختمة أكثر من أربعين يوما بلا عذر لحديث ابن عمر"[3]. وكذلك قوله: "وتجب على غير معذور بأعذار الجمعة

---

1 المرجع السابق ص: 219.

2 المرجع السابق ص: 188–189.

3 المرجع السابق ص: 199–200.

وقاضٍ الإجابةُ إلى وليمة عرس... بل الشرط... وأن لا يترتب على إجابته خلوة محرمة فالمرأة تجيبها المرأة إن أذن زوجها أو سيدها لا الرجل إلا إن كان هناك مانع خلوة محرمة كمحرم لها أو له أو امرأة أما مع الخلوة فلا يجيبها مطلقا وكذا مع عدمها إن كان الطعام خاصا به كأن جلست ببيت وبعثت له الطعام إلى بيت آخر من دارها خوف الفتنة بخلاف إذا لم تخف فقد كان سفيان وأضرابه يزورون رابعة العدوية ويسمعون كلامها فإن وجد رجل كسفيان وامرأة كرابعة لم تحرم الإجابة بل لا تكره وأن لا يدعى لنحو خوف منه أو طمع في جاهه أو لإعانته على باطل ولا إلى شبهة بأن لا يعلم حرام في ماله أما إذا كان فيه شبهة بأن علم اختلاطه أو طعام الوليمة بحرام وإن قل فلا تجب إجابة بل تكره إن كان أكثر ماله حراما فإن علم أن عين الطعام حرام حرمت الإجابة وإن لم يرد الأكل منه كما استظهره شيخنا"[1].

12) نزعة أدبية في التأليف: يذكر خلفيات تاريخية لتشريع بعض العبادات فعلى سبيل المثال سرد الحكاية الصحيحة المشهورة التي رواها أبو داود في سننه حيث قال: "والأصل فيهما (أي الأذان والإقامة) الإجماع المسبوق برؤية عبد الله بن زيد المشهورة ليلةَ تشاوروا فيما يجمع الناس. ويقول عبد الله بن زيد إنه لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالناقوس يعمل ليضرب به للناس لجمع الصلاة طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس فقال: وما تصنع به فقلت: ندعو به إلى الصلاة قال: أولا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ فقلت له: بلى فقال: تقول "الله أكبر الله اكبر... إلى آخر الأذان. ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال وتقول إذا قمت إلى الصلاة "الله اكبر الله أكبر... إلى آخر الإقامة" فلما أصبحت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت فقال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله قم مع بلال فألق عليه ما رأيت

1 المرجع السابق ص: 278-280.

فليؤذن به فإنه أندى صوتا منك فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه فيؤذن به فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج يجر رداءه ويقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى فقال صلى الله عليه وسلم فلله الحمد"[1]. وكذلك ما ذكره في خلفية مشروعية صوم تاسوعاء: "(ويسن صوم يوم عرفة)... (وتاسوعاء) وهو تاسعه أي المحرّم لخبر مسلم "لَإِنْ بَقِيتُ إلى قابِلٍ لأَصُومَنَّ التاسِعَ فَماتَ قَبْلَه. والحكمة مخالفة اليهود"[2].

13) إشارة إلى القضايا الطبية واعتبار الفقه الإسلامي لها: مثاله ما ذكره في تأويل قول القاضي: الاحتياط أي للصائم أن يتغوط بالليل قال ولده أي السبكي: مراده أن إيقاعه فيه خير منه في النهار لئلا يصل شيء إلى جوف مسربته، لا أنه يؤمر بتأخيره إلى الليل لأن أحدا لا يؤمر بمضرة في بدنه"[3]. وكذلك ما قال: "يسن لكل أحد الادهان غبّا والاكتحال بالإثمد وِترا عند نومه"[4]. وأيضا قال: "ويستحب أن يكف الصبيان أول ساعة من الليل وأن يغطي الأواني ولو بنحو عود يعرض عليها وأن يغلق الأبواب مسميا الله فيهما وأن يطفئ المصابيح عند النوم"[5].

14) بيان غرائب المفردات: مثاله ما ذكر في بيان معنى كلمة "سِيَّما": "بتشديد الياء وقد يخفف والأفصح جر ما بعدها وتقديم لا عليها وما زائدة وهي دالة على أن ما بعدها

---

1 المرجع السابق ص: 96–97.
2 المرجع السابق ص: 203.
3 المرجع السابق ص: 192.
4 المرجع السابق ص: 219.
5 المرجع السابق ص: 219.

أولى بالحكم مما قبلها"[1]. وكذلك قوله: "...(بخليط) أي مخالطا للماء وهو ما لا يتميز في رأي العين"[2].

ففتح المعين ليس كتاب فقه فحسب بل هو كتاب بأسلوب منطقي، يهتم بما ينبغي اهتمامه، ويزجر أهل البدعة والفسق، ويحذّر، وينكر، ويلبّي حاجات الناس، ويتحدث مع أهل عصره بلسانهم، ويرغّب ويرهّب، ويشدّد حينا، ويرخّص آخر، وهو كتاب طب، وأدب، وبيان غرائب. فيصدق عليه قوله تعالى {كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا}[3].

وفي خطبة الكتاب دعا اللهَ تعالى المصنف رحمه الله لأن ينتفع بكتابه الأذكياء وتقرّ عينه بسببه بالنظر إلى وجهه فقال: "(راجيا من) ربنا (الرحمن أن ينتفع به الأذكياء) أي العقلاء (وأن تقرّ به) أي بسببه (عيني غدا) أي اليوم الآخر (بالنظر إلى وجهه الكريم) بكرة وعشيا آمين"، وقد عرفنا من تاريخ هذا الكتاب وتلقّيه العقلاءُ بالقبول قبول دعائه هذا عند الله تعالى بجميع مضامينه. وذلك أكبر شاهد على إخلاص نيته لوجه الله تعالى كما هو أحد معاني قول النبي الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى". ويدل على كمال إخلاصه وتوكله قوله في الحمدلة: "الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله". فجعلنا الله تعالى وأساتيذَنا ومشايخَنا وذوينا من أولئك الأذكياء والعقلاء الذين انتفعوا بفتح المعين، وحشَرَنا وإياهم مع مصنفه المخلص الكبير شيخ مشايخنا الأكبر ومستندنا في الدنيا والآخرة عند قرة

---

1 المرجع السابق ص: 200.

2 المرجع السابق ص: 9.

3 سورة إبراهيم: 24-25.

عينيه بسببه بالنظر إلى وجه الله جل وعلا بكرة وعشيا بمحض فضله وكرمه وجوده فهو أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، آمين يا رب العالمين.

****

الحواشي والهوامش على فتح المعين

وقد اعتنى العلماء الأجلاء بفتح المعين اعتناء بالغا حيث صنفوا الحواشي والهوامش لها فمن بينهم:

1) الشيخ الإمام علي بن أحمد بن سعيد المعروف بباصبرين الحضرمي المتوفى سنة 1304 هـ[1]

2) العلامة السيد أبو بكر بن محمد شطا الدمياطي ثم المكي المتوفى سنة 1310هـ

3) الشيخ العلامة المحقق السيد علوي بن أحمد السقاف المكي المتوفى سنة 1335هـ

4) الشيخ العلامة المرحوم زين الدين المخدوم الأخير المتوفى سنة 1305هـ

5) الشيخ العلامة الفقيه الكبير النحوي الشهير أحمد بن محمد الشيرازي النادابورامي المتوفى سنة 1326هـ

6) العلامة المولوي علوي ابن الشيخ العلامة العارف بالله عبد الرحمن النقشبندي التانوري المتوفى سنة 1347هـ

---

1) راجع ترجمته في الأعلام للزركلي 260/4.

7) العلامة الشهير المولوي كنجي محمد مسليار ابن الشيخ العلامة أحمد الكودَنْجيري ثم التِروِرَنْغادي المتوفى سنة 1352هـ، وغيرهم.

فمن مؤلفاتهم:

(1) إعانة المستعين على فتح المعين: هذا الكتاب للشيخ العلامة علي باصبرين صنفه حينما كان مدرسا لمادة الفقه الشافعي حيث اجتمع عنده مئات من الطلبة لقراءة فتح المعين، فإنه كما يقول في مقدمته لما وجد العلماء كتاب فتح المعين كتابا معتمدا مختصرا لا يوجد له نظير في الفن المذكور لأن صاحبه قد أورد فيه الأحكام المعتمدة في مذهب الإمام الشافعي رحمه الله كما أنهم وجدوا فيه "عمدة المذهب وصفوة المستجادات" فاستخار الله تعالى لكي يخدمه فشرع في تأليف هذه الحاشية المسماة بإعانة المستعين على فتح المعين. وهذه الحاشية هي أقدم الحواشي على فتح المعين وقد نقل منها كثير من العلماء في كتبهم كما فعل الشيخ العلامة عبد الحميد الشرواني في حاشيته على تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي[1]. والنسخة الموجودة حاليا من هذا الكتاب في كيرالا هي النسخة الخطية المحفوظة في المكتبة الأزهرية بشاليات.

والكتاب يشتمل على جزأين، ويقول المؤلف في الصفحة الأخيرة من هذه الحاشية "وكان الفراغ من تبييض هذه الحواشي النافعة إن شاء الله كل ناظر فيها بعين الإنصاف، في ظهر يوم السبت المبارك الموافق خامس عشر شهر ذي القعدة سنة

---

1) محمد علي مسليار ، أعيان مليبار ، ص: 28، راجع لمثاله حاشية الشرواني 80/10.

1261 هـ وكانت مدة تأليفها سنة كاملة بلا زيادة ولا نقصان ومن الله نرجو العفو والغفران متوسلين إليه بسيد ولد عدنان عليه أفضل الصلاة وأتم السلام "[1].

(2) إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين: وهو للشيخ العلامة السيد أبو بكر بن محمد شطا الدمياطي المشهور بالسيد البكري نزيل مكة المكرمة المتوفى سنة 1310هـ. وعمله هذا يعتبر كأكبر الجهود المبذولة حول فتح المعين، فإنه صنف الكتاب في أربعة أجزاء. قد فرغ من تحريرها وتبييضها يوم الاثنين المبارك بعد الظهر الثالث والعشرين من شهر شوال المعظم قدره سنة ثلاث مائة وألف.

وقد قرظ هذه الحاشية كثير من جهابذة العلماء المعاصرين لمصنفها ومن بعدهم، وعلى سبيل المثال هذه أبيات من تقريظ السيد محمد الحسيني رئيس مصححي دار الطباعة الأميرية:

بجوامع الكلمات خُصّ نظيمه   وبمحكم التأليف فاق نثيره
لاحتْ لقارئه علاماتُ الهدى   وبمجلس التحقيق فاح عبيرُه
إن سافر القاري به فنديمُه   أو حلّ فهو أنيسُه وسميرُه
فاعضُضْ عليه بناجذَيْك فإنه ماحي ظلام المشكلات مسيرُه[2]

(3) ترشيح المستفيدين بتوشيح فتح المعين: هذه الحاشية للشيخ العلامة السيد العلوي بن أحمد السقاف المتوفى سنة 1335هـ. قد بيّن في أوائله بعض المبادئ الفقهية التي يلزم للمتفقه أن يلمّ بها من مباحث الاجتهاد والكتب المعتمدة في

---

1) علي با صبرين ، إعانة المستعين ج 2 ص 559 _ 560

2) المرجع السابق، ج 4 ص 340

المذهب والاصطلاحات الفقهية الموجودة لدى بعض متأخري الفقهاء الشافعية وغيرها.

ونسخة الكتاب ملحقة ببعض الزيادات والتقريرات في هامشها كما أنها مضافة في آخرها برسالة للمؤلف نفسه أسماها "الباقيات الصالحات والدروع السابغات". ويقول المصنف في آخر كتابه "انتهى بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ما رمت تعليقه على هذا الكتاب المتين أعني فتح المعين بمكة المكرمة في الساعة السابعة من ليلة الجمعة السابعة والعشرين من شهر رمضان الأكرم من سنة 1307هـ "[1]. وقد قرظه كثير من العلماء الكبار من بينهم الأستاذ الفاضل الشيخ محمود البصري حفيد الشيخ أحمد نور القاضي بالبصرة سابقا:

كواكبُ أفقٍ أم بدورٌ سوافرٌ نتائجُ فكرٍ أم معـانٍ زواهرٌ
وتلك رياضٌ أم ورودٌ تفتَّتَتْ وتلك حياضٌ أم بحورٌ زواخرٌ
وتلك حواشٍ قد أضاءت بدورُه تُسرُّ بها طولَ الدهورِ الخواطرُ
بلى إنها ترشيحُ حَبرٍ مهذَّبٌ وقرةُ عينٍ للذي هو ناظرٌ
وكم إلى السقاف قد صار ينتمي ويزكو الفتى من حيث تَزكو العناصرُ
مؤلفُها يا حبذا مِن مؤلفٍ سماءٌ علاه بالفضائل ماطرٌ[2].

(4) شرح فتح المعين في مجلدين للشيخ العلامة الفقيه الكبير المولوي أحمد ابن الشيخ محمد الشيرازي النادافرامي المليباري المتوفى سنة 1326هـ.

---

1) ترشيح المستفيدين ص 430

2) المرجع السابق ص: 446.

(5) تنشيط المطالعين شرح فتح المعين إلى باب الصلاة فقط للشيخ العلامة المولوي علوي ابن العلامة الشيخ عبد الرحمن النقشبندي التانوري المليباري المتوفى سنة 1347هـ.

(6) شرح على فتح المعين للشيخ العلامة الشهير كُنْجي محمد مسليار ابن الشيخ العلامة المولوي أحمد كوتي مسليار الكودَنْجيري ثم الترورنغادي المليباري المتوفى سنة 1352هـ.

(7) شرح فتح المعين في مجلدين للشيخ العلامة زين الدين بن ماحن حسن المخدوم الأخير الفناني المليباري المتوفى سنة 1305هـ.

(8) فتح الملهم شرح فتح المعين للشيخين الملباريين المشهورين نِرَمَرُتورْ بِيران كوتي مسليار المتوفى سنة 1403هـ، والمولوي كي. كي. أبو بكر حَضْرَتْ المتوفى سنة 1413هـ.

(9) نهاية الزين في إرشاد المبتدئين شرح على قرة العين بمهمات الدين للعلامة الشيخ أبي عبد المعطي محمد بن عمر بن علي نووي الجاوي من أعيان علماء القرن الرابع عشر للهجرة.

(10) التقرير على فتح المعين للشيخ العلامة أبي أحمد موسى بن أحمد البردلي المليباري المتوفى سنة 1393هـ.

(11) نظم قرة العين لمتن فتح المعين للشيخ العالم الجليل المولوي محمد مسليار ابن أحمد الأَريكَلي المليباري المتوفى سنة1371هـ، نظمه لكي يسهل على الطلبة حفظها كما يقول المؤلف في مقدمة هذه المنظومة، وأولها:

الحمد لله المُعينِ كلّما   قَرَّتْ بعلمٍ عينُ من تعلّما

حمدا يُوافي بِرَّه ما أكملَه　　　كما انْبَغَى لوجهه وأشملَه
وليس يُحصى برُّه لم تزلْ　　　مِنَنُه دائمةً تَنَلْ
مصلِّيًا على النبي مُسلِّمًا　　　وآله المطهَّرين الكُرَما
نظّمتُ للزكاة متنَ الفتحِ　مَتْنًا عميمَ النفع سهلَ الفتح
أعني المسمى قرةَ العينِ تَقِرّ　　　عيونُ مَن يَبغي بما فيه استقرّ
مختصرٌ وفي اختصاره رَقَى　　　بحسنِ وضعٍ رُتبةً لا تَرتقي
وهو عجيبٌ شأنُه مِن أبدعِ مصنّفٍ في مذهبٍ للشافعي
ولستُ مما فيه شيئا أحذِفُ　　　وزِدتُّ ما ليس بحالٍ يُحذَف
وذاك من بعضِ القيود المُهمَلة وغيرِه ما الفتحُ منه استكمله
وتلك في مواضعِ خلافِ ما　　　منها خلتْ لكثرةٍ قد انتمى
فكيف لا معْ شرْحه ذا من أهمّ ما لا غِنى عنه بحالٍ ما يُؤَمّ
وهل لمثلي وجهةٌ لنيلِ ما تضمّنَ البحرُ المُحيطُ ناظما
لأنْ تَقَرَّ العينُ بالمُهِمِّ للدين بالفهمِ وحفظِ النظمِ
لمُبتدِي العصرِ مِن الإخوانِ　　　أَرجُو الدعا منهم مَدَى الأزمانِ
واللهَ أرجُو جازمًا بأنّي　　　لذاك أهلًا لستُ لاَ لاَ ظنّي
وقد توكلتُ عليه وكفى　　　بالله ما قد خاب مَن به اكْتفى
أسألُه تفضُّلا بجَعْلِه　　　لوجهه ونافعا كأصله[1].

وإلى جانب هذه الأعمال السابقة هناك شروح وحواش ومختصرات وتعليقات وتقريرات أخرى[1] أيضا لعلماء مليبار وغيرهم كما توجد في مكتبات المخطوطات في الهند والقاهرة وغيرها من بلاد المسلمين.

---

1) الشيخ محمد مسليار الأريكلي: نظم قرة العين، ص: 2–3.

ثم، هذا آخر ما انتهى إليه بحثي[2] في موضوع فتح المعين بين المؤلفات في الفقه الشافعي، فالله تعالى الجواد الكريم أسأل أن يجعل هذا البحث في رضاه، وأن يوصل ثوابه إلى أساتيذي ومشايخي ووالديّ وأهلي وذويّ وجميع المسلمين، وأن ينفعني ومن يحسن إليه به في الدنيا والآخرة، وأن يحشرني بسببه معهم في فراديس الجنان بمنه وكرمه ولطفه ورحمته، آمين يا رب العالمين.

****

hakeemsaadi@gmail.com
00919846132049

---

1) تنبيه: نقل الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن عمر باعلوي في بغية المسترشدين (ص: 4، و24) عن "تكملة فتح المعين" للشيخ عبد الله باسودان. وقد ترجم الزركلي وغيره لعبد الله باسودان ولكن لم يذكروا تكملة فتح المعين من بين مؤلفاته. فليراجع ما هذا الكتاب.

2) أنا عبد الحكيم بن عبد الرحيم بن محمد كُنْج بن قَلَنْدَر كُنْج بن وَاوَا كُنْج الكُرُوِيلِكَدَوِلي نسبا، الكَنافَلي مولدا، المليباري نزولا، السَّعَدي تخرجا وتخصصا، النِّظَامي تخرجا وتخصصا ونيلا لدرجة الدكتوراه، (وقد نال الدكتوراه الثانية من جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية EFLU بحيدراباد)، الشافعي مذهبا، الأشعري عقيدة، القادري والرفاعي والنقشبندي سلوكا، المولود بيوم الثلاثاء 29/ جمادى الأولى/ 1392هـ، 11/ تمّوز/ 1972م. وأمه رحمة بِيوِي بنت عبد الرحيم بايِ. وتزوج الشريفة نذيرة بنت السيد مُولَاكُويَا آل عيدروس الحُسينيّة. وأنجبت له السيد محمد سفيان، والسيدة فاطمة حَنينة، والسيد محمد لقمان، اللهم اجعلهم وذويهم ومن له حق عليهم من الصالحين، آمين.